إشكالية التفسير

قراءة في فلسفة شلاير ماخر

The Problematic of Interpretation

A Reading of Schleiermacher's Philosophy

د . أحمد عبد الفتاح محمد
مدرس بقسم الفلسفة
كلية الآداب – جامعة طنطا

١ـ أهمية المشروع التفسيري

يعد شلاير ماخر ـ Schleiermacher المولود في بروسلو عام ١٧٦٨ والمتوفي في برلين عام ١٨٣٤ـ من كبار علماء اللاهوت الألمان... وعقب وضع كانط الفلسفة النقدية، شكل جزءا لا يتجزأ من الوجهة الكبيرة للتفكير التأملي في ألمانيا التي سعت إلى حماية كل مظاهر الإنسانية من قيود التقليد الأعمى Blind tradation والخرافة Superstition والخضوع للطبيعة الشهوانية Heteronomy brute nature ، ولكنه لا ينتمي لعلماء اللاهوت وحدهم، على الرغم من تعاطفهم مع جدله ونزعته الأخلاقية.

ولاشك أنه لعب دورا فكريا يصعب الاستهانة به خاصة في الثقافة الألمانية وتلك البلدان التي تأثرت بها من خلال نزعته التفسيرية التي اتخذت معه اهتماما أساسيا في مذهبه عن الفهم، وإن كنا نصادف بعض التناقض في كيفية التعامل معه، باعتبار أنه لم يدرج مفسريه اللاهوتيين أن فكرة الفهم تتخذ مكانة مركزية في إنتاجه الفلسفي ككل.

وعلي الرغم من هذا فإنه يصعب التعامل معه بمعزل عن قيمته كفيلسوف، مهما كانت قيمته الفلسفية. وإن لم ينل ما يستحق من شهرة في التراث الفلسفي شأن بقية فلاسفة ألمانيا العظام، على الرغم من قيامه بالتدريس وإلقاء المحاضرات في المجالات الفلسفية المختلفة[1].

كتب شلاير ماخر في بادئ الأمر أفكاره على هيئة حكم وأقوال مأثورة (١٨٠٥ـ ١٨١٠)، ثم وضع صورة مفصلة لها عام ١٨١٩ أطلق عليها الخلاصة Compendium شكلت مصدرا لسلسلة محاضرات ألقاها خلال السنوات التي قضاها كأستاذ كرسي للثيولوجيا البروتستانتية بجامعة برلين بين عامي ١٨١٠ـ١٨٣٤ مدعمة بملاحظات إضافية وتعليقات على النص الأصلي.

وبعد موته نشر تلميذه F, lucke عام ١٨٢٨ مجلدا سماه التأويل والنقد Hermeneutics and Criticism يحمل بين طياته رؤية متماسكة للتفسير عنه والمؤلفة من مخطوطات ومسودات لمحاضراته وملاحظات طلابه عليها.

وبدراستها معا فليس من المبالغة القول بأنها تمثل ثورة في التفسير الإنساني، في إدراكنا لوضعنا المتناهي والعلاقات البينية التي تربط بيننا، وعليه فإنه من خلال هذه الخطوط نكون قد غيرنا خريطة معرفتنا الانسانية به.

ففي الفصل الدراسي الأول له كأستاذ في جامعة هال Halle في شتاء ١٨٠٤، ١٨٠٥، وضع شلاير ماخر خطة لمجموعة من محاضراته كانت تقتضي منه أن يحاضر في تفسير كتب العهد الجديد New Testament، فشعر بالحاجة إلى أن يوضح لنفسه المبادئ التي تحدد إجراءاته لكي يكون في مأمن في تفسيراته مقارنة بمبادئ التفسير * لأرنستي Ernesti التي تتمتع بسمعة طيبة، ولكنه قال بأن هذه التعليمات نفسها كان ينقصها الأساس الكافي لأن المبادئ العامة لم تثبت في أي مكان [1] على اعتبار أنها مرتكزة فقط على الجانب اللاهوتي دون بقية المجالات.

وعلى هذا يمكن أن نتبين بوضوح الدوافع العملية العاجلة التي حدت به إلى التعامل مع قضية التفسير على نحو عميق ودقيق، وهي مغامرة جديدة وخطيرة لم يسبقه إليها أحد قبله، وإن حققها بصورة عميقة ملتزما بالقواعد التي أرساها، ومما يترتب عليه أن المبدأ التفسيري القديم في فهم الجزء بمقتضى الكل ماعدا مقيدا ومحددا بهذه الوحدة، بل بكلية الواقع التاريخي؛ أي السياق الحي الذي انتمت إليه.

ومن خلال انشغاله بتفسير العهد الجديد ورغبته في إعطاء روح متجددة، أدرك بأن فن الفهم ذاته يجب توضيحه، فالكتاب المقدس Holy Scripture هو مقدس من الحقائق التي نفهمها، فلا نستطيع كما كان من قبل، الفصل بين قداسة الكتاب المقدس وبين فهمنا له كمقدس، وبذلك وبهذه الصورة فقد حول انتباهنا بعيدا عن أي هدف مفترض للبحث أو أي نوع معين من النصوص- في هذه الحالة كتابات العهد الجديد- إلى موضوع

---

* أدرك أنه من أجل فهم الكتاب المقدس فهما مناسبا، فمن الضروري إدراك حقيقة أن الكتاب المقدس له مؤلفون متنوعون، بمعنى أنهم يهجرون فكرة الوحدة الدوجماتية للشريعة ومن خلال تحرير التفسير من الدوجما، أصبح ينظر إلى مجموع الكتابات المسيحية المقدسة على أنها مجموع مصادر تاريخية كان يجب بوصفها أعمالا مكتوبة، أن تخضع ليس فقط إلى تفسير قواعدي وإنما إلى تفسير تاريخي أيضا، وفهم هذه الكتابات وفق سياقها الكلي يحتاج الآن أيضا إلى الاستعادة التاريخية للسياق الحي الذي تنتمي إليه هذه الوثائق.

هانز جورج جادامر: الحقيقة والمنهج، ترجمة د/ حسين ناظم علي حاكم صالح، راجعه على الألمانية د/ جورج كتورة، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ٢٠٠٧، ص ص ٣٦١، ٣٦٢.

الفهم نفسه، وهذا هو الهدف الملائم للبحث في التفسيرات، بوضوح: الفهم، نشاطه، العمليات والإجراءات التي نحقق بها الفهم كل هذا يجب توضيحه وشرحه، وبهذه الطريقة فإن خطته قد حققت شهرة ساحقة لم يحققها أحد ممن سبقوه[٣].

ومن هنا، فقد اتبع خطوات بعض رواد حركة التنوير في التوقف عن حصر عمليات التفسير على اللاهوت وحده، بل امتدت لتشمل أي نوع من النصوص، ولكن شلايرماخر قد تجاوز ذلك باتخاذه خطوة أبعد بجعل الفهم نفسه مشكلة: فكل صورة متخصصة للتفسيرات تفترض مسبقا أنه في سياق الأمور العادية يفهم الشخص كل شئ بصورة طبيعية حتى يواجه بشيء ذي صعوبة خاصة، فالفهم في ضوء هذا المبدأ هو مهمة لا نهائية، وسوف يبقى شعار ذلك إلى النهاية. فالفهم مهمة لا نهائية وغير قابل للاستهلاك.

يتضح من ذلك، أنه لا أحد قبله أصر بنفس الدرجة من التأكيد والبصيرة والبراعة النظرية والشمول، على حقيقة أن الفهم يقتضي مهمة لا نهائية. فهذا الجهد التفسيري الخاص والفريد يجب بذله كلما أردنا أن نقرأ نصا والمعنى الذي يتضمنه في الواقع، وبشكل عام فإن مهمة الفهم يجب تكرارها بصورة متجددة عندما نواجه عوالم الآخرين، وعندما نواجه شيئا غير مألوف لنا، وكلما أردنا أن نفهم وأن نستوعب ما هو غريب عنا، لأن كل إنسان يجب أن يعبر بوضوح عن الإنسانية التي بداخله بأسلوبه الخاص والمميز، فكل شيء يخرج من رحم الإنسانية يجب أن يتحقق[٤].

وهذا يميز نقطة انطلاق شلايرماخر ومساهماته الثورية في هذا المجال، فلم يقيد نفسه بأحداث معينة غير واضحة سواء أكانت معجزات أم خوارق، أو بالطريقة التي تقدم نفسها، شفاهية كانت أو مكتوبة، باللغة الأم أو باللغة الأجنبية، من زمننا أو من زمن آخر.

ويجب أن نأخذ دائما في الحسبان حقيقة أنه عكس الافتراض التقاليدي لمفسري حركة التنوير عندما ذهب إلى أنه ليس الفهم، لكن الفشل في الفهم أو سوء الفهم سوف يكون الناتج الطبيعي أو التلقائي لمساعينا، وذلك حين جعل عملية الفهم بأكملها عملية إشكالية: لأننا دائما ما نصادف صعوبات بطريق أو بآخر.

وإذا كان فلاسيوس Flacuis يعود إليه الفضل في التحذير من مغبة مصادرة المعنى التي كانت تنتهجها الكنيسة الكاثوليكية عند قراءة الكتاب المقدس، إلا أن النصوص – من وجهة نظره لابد أن تفهم انطلاقا من بنيتها الداخلية بعيدا عن أي إكراه أو وصاية خارجية، أي لابد من فهم النصوص انطلاقا من ذاتها، وبهذا يحقق النص موضوعية مستقلة بعيدا عن أيديولوجيته أو رؤيته للعالم أو للسياق اللغوي الذي شهد

مولده، وحدد بالتالي الكيفية التي لابد أن يقرأ ويدرس ويفهم في إطارها [٥]، إلا أن شلاير ماخر وسع مجال قراءة النصوص وتفسيرها بدءا من النص الإلهي حتى النص البشري، وميز بين الفهم وصلاحيته ليبين لنا أن التعامل مع النص يتطلب نوعية فهم تتفق معه، حيث يستلزم البحث عن الدوافع التي أدت إلى ميلاده، أي تحديد الظروف الزمانية والمكانية له.

إن إنجازات شلاير ماخر، وبالأسلوب المألوف – تتمحور حول حقيقة أنه كان على قناعة وسعي صوب هذا الإيمان أو الاعتقاد الراسخ بأن المرء يجب أن تكون لديه القدرة على فهم الآخر كما يفهم ذاته، وأن مثل هذه القدرة يجب أن تكون الملكية المشتركة والمتقبلة لدى الجنس البشري.

ومما له دلالة أن الشفاهية تعمل على تيسير عملية الفهم بصورة كبيرة عكس الكتابة؛ لأن التفسير يعتمد على الاختلاف بين القول المكتوب والقول المنطوق وذلك عندما لا يقترن الثاني مع الأول [٦].

ومن ثم، تعد النصوص القديمة غريبة علينا غرابة مزدوجة، فهي قديمة تاريخيا، وهي في لغة مختلفة، حيث يدلف المفسر إلى كيان معرفي مختلف، عالم غامض هو عالم النص، فاللغة المكتوبة تفتقر إلى القوة التعبيرية التي تتجلى بها الكلمة المنطوقة. صحيح أن التدوين يحفظ اللغة ويحميها من الاندثار، إلا أنه في الوقت نفسه يضعفها الكتابة إذن اغتراب للغة عن قوتها الحية، وليس من قبيل المصادفة أن كلمة اللغة تشتق من النفوه والنطق.

وهذا يبلور لنا أن عملية صياغة قول ما وإصداره في كلمات هي شيء وعملية تلقي هذا القول وفهمه هي شيء آخر مختلف ومتميز كليا، والتفسير في رأي شلاير ماخر إنما ينصب على العملية الثانية وحدها، عملية الفهم بوصفها فنا للفهم. وبالتالي فقد اتخذ شلاير ماخر كنقطة انطلاق لفكره هذا التساؤل العام:

كيف يمكن فهم أي عبارة أو قول سواء أكان منطوقا أو مكتوبا ؟

إن موقف الفاهم يعد واحدا من العلاقات الحوارية، ففي كل من هذه العلاقات هناك متحدث يقوم بتشكيل الجملة للتعبير عن مراده، وهناك في المقابل متلق أو مستمع يستقبل سلسلة الكلمات، وفجأة وعبر إحدى العمليات يستطيع أن يسترشد عن معناها. هذه العملية الباطنية هي عملية التفسير إنها المجال الحقيقي له. فالتفسير هو فن الإصغاء.

وهكذا يتمثل سعيه الدءوب، ليس في مجرد مجموعة من القواعد كما هو الحال

في التفسيرات القديمة، بل يرمي إلى كشف القوانين التي يعمل بها الفهم وتحويل الفهم بأسره إلى علمي منهجي يمكن أن يرشدنا في عملية استخلاص المعنى من النص.

والفهم عنده بوصفه تفهما، هو عملية إعادة معايشة للعمليات العقلية لمؤلف النص. إن المتحدث أو المؤلف يبني جملة وعلى المستمع أن ينفذ إلى داخل بناء تلك الجملة، وبذلك يتكون التفسير من لحظتين : اللحظة اللغوية، واللحظة السيكولوجية، أو بتعبير آخر يبدأ الفهم من نقطتين مختلفتين: فهم اللغة وفهم ما يقصده المتحدث، ولكن تظل اللغة هي المفتاح السحري، فلا يمكن لأي شيء أن يتواجد أو ينبثق إلا من خلالها.

فنحن ملزمون إذن بوجود الكل، كلية اللغة، وهي العملية التي يمكن وصفها بأنها لا نهائية أو لا حد لها، فاللغة ذاتها ماهي إلا سمة بشرية متفردة، ومن ناحية أخرى فهي نتاج اصطناعي للمجتمع البشري [٧].

على أية حال، ومن خلال أهمية هذا المشروع يحاول البحث أن يجيب عن هذا التساؤل: ما هي المحاور الأساسية للتفسير عنده؟ وبأي شكل يحكون؟.

٢- نظرية التفسير

أ – قصدية المؤلف

يعد نقاد نظرية التفسير لشلاير ماخر والمدافعين عنها قليلين نظرا للشعبية الكبيرة التي يحظاها الفيلسوف الألماني هانز جورج جادامر، واعتقد أن مكمن هذه النظرية التفسيرية يتحدد بناء على سؤال أساسي طرحه شلاير ماخر: ما الذي يمكننا من الاتصال بواسطة الآخر؟ لقد بدأ بالافتراض أننا نستطيع أن نفهم أحدنا الآخر بواسطة اللغة ولكن الفشل في التفاهم يعد أمرا قائما. المهم هو أن نعرف ما يجب علينا عمله من أجل تفاهم ناجح، حيث تستخدم اللغة لفهم أحدنا الآخر وليس فقط لتفسير شيء مختلف أو لأعمال أدبية.

ولكن كيف يحقق التفاهم بين أحدنا وآخر بواسطة اللغة؟ كانت إجابته على هذا التساؤل تحتوي على ثلاثة دعاوي:

١- فهم اللغة يتطلب رؤيتها بأفعال الأشخاص.

٢- نرى هذه الأفعال في سياق التواصلية.

٣- يحدث التفاهم عندما نرى كيف يمثل الفعل اللغوي في نفس الوقت تجليا للغة والشخص معا [٨].

وللإجابة على الادعاء الأول، يأتي اقتراح شلاير ماخر الذي يهتم بالمعاني الأصلية فقط ولو أن تفسيراته شكلت لتناقش المشكلة التي تجعل فهم أحدنا للآخر ممكنا، فإنها لم تصمم لتعبر عن أي نمط من أنماط الابداع، كما يعبر عن ذلك بقوله: فروح العصور القديمة تتواجد ليس فقط في نمط معين من الكتابة ولكن أيضا في الأدب التصويري. ومع هذا الأمر فإن التفسير يتعامل فقط مع ما تم إنتاجه في مجال اللغة.

وهنا افترض أن التفكير والكلام - نوعا ما - وجهان لعملة واحدة، فالتفكير هو حديث داخلي، والكلام هو حديث خارجي يتم فهمهما بلغة الأفعال، وبمعنى آخر هي أفعال في حاجة إلى الفهم كدلالة على نوايا الإنسان. فلو كان الكلام المكتوب له معان متعددة وأن المفسر يستطيع أن ينتقي تجربة ما من بين التفسيرات، فسوف يصبح الكلام والكتابة بلا جدوى.

مناط الفكرة إذن أن المفسر لا يستطيع أن يختار بحرية بين التفسيرات، فالقرارات لا يمكن أن تكون بين يديه، وعندئذ يكون الغرض أو الهدف من اللغة لتحقيق التفاهم بين أحدنا وآخر لا يمكن التخلي عنه.

هذه النقطة مثار خلاف كبير، فالقرارات التفسيرية هي قرارات معيارية، وهي أهداف يمكن للشخص أن يجادل من أجلها على افتراض عدم وجود محكمة استئناف نهائية. ولكن هذا التصور يجب أن يعتمد على أساس رضائي قابل للتغير. الأساس في ذلك عند شلاير ماخر هو أن الشخص يجب أن يتحاشى الأسس المتنافرة والقابلة للاختصار في التجارب التفسيرية. وهذا في حد ذاته طلب معياري للبحث عن الحقيقة التي استهلكت من خلال مضمونها الافتراضي. وبالنظر إليه بهذه الطريقة فإن السؤال العميق عن قصدية المؤلف من الممكن أن تفسح الطريق لسلسلة كبيرة من الأساليب المختلفة والممكنة بالتساوي.

وكما يقول شلاير ماخر: فالنشاط المقيد والحر دائما ما يقفان بالقرب من بعضهما حتى في مرحلة الطفولة، وفقط فيها حيث لم يعد يتم بعد الفصل التام بين الفاعل والمفعول أو بين الموضوع والهدف. وبمجرد أن يدرك الطفل اللغة فهذه النقطة الأولى التي يثبت الوعي الموضوعي نفسه عندها وهنا يظهر الفرق بين النشاط الحر والمقيد [4].

إذن التفسير عند شلاير ماخر لا يستمد أسسه النهائية من القواعد الموجودة من قبل، ولكنه يفرض التزامات متواصلة على العاملين الأحرار من أجل محاولة رؤية العالم من وجهة نظر الآخر وتوضيح القدرة التي خلفها لنا في تفسيرات بين ذاتية.

ب- اللغة والسياق التواصلي

أما عن الادعاء الثاني المتمثل في أن الأفعال اللغوية يتم فهمها في سياق التواصلية، فيرتكز على نقطة أساسية متمثلة في أن المؤلفين والمفسرين عادة ما يتواصلان مع أشخاص بعينها. فالمفسر يفكر في المشاهد الذي يكلمه؛ يقول لنا شلاير ماخر: يجب على المفسر أن يضع في ذهنه أن ما تم تدوينه كان غالبا ما يكتب في يوم وعصر مختلف عن اليوم والعصر الذي يعيش فيه، ومن ثم فإن المهمة الرئيسية للتفسير ليست هي فهم النص القديم في إطار الفكر الحديث، ولكنها تكمن في إعادة اكتشاف العلاقة الأصلية بين الكاتب وجمهوره من القراء[١٠].

والنتيجة المترتبة على ذلك، أنه لا ينبغي علينا على الإطلاق عندما نقابل شخصا آخر أن نطبق على كلماته وإشاراته وكل تعبيراته الرمزية التي تجسد أفكاره ومشاعره وطموحاته وأحلامه، تصوراتنا ومقولاتنا المألوفة، كما يتحتم على كل إنسان أن يعبر عن إنسانيته بطريقته الخاصة ومن خلال إمكاناته الخاصة بحيث تكون فرديته بمثابة المهمة العملية التي ينخرط طوال حياته وحتى انتهاء أجله في تحقيقها، وأن يجعل مهمته هي التواصل والتغلغل في كل ما هو متفرد وخاص، وأن يدرك بوضوح الدلالة والقيمة الكلية الشاملة لكون كل واحد منهم هو هذا الكائن المتفرد وليس أي كائن آخر[١١].

محور التفسير الأساسي إذن يكمن في اللغة، فهي تفتح مجالا واسعا للفهم لأنها بمثابة أدواته الخاصة، فهو فهم لها ومن خلالها، ولكنها لا تكتب نفسها أو تنطق نفسها، وإنما تتكلم إلينا أو معنا بالدرجة التي يستخدمها البشر سواء في صورة مكتوبة أو شفوية، عند هذا الحد تمتلك اللغة عنصرا العمومية والفردية، فاللغة ومستخدمو اللغة مكونات أساسيات في كل ذلك.

أحد تداعيات هذا التصور أن مهمة التفسير لا تنتهي أبدا ولا تصل لحد الكمال، حيث تلزمنا بها طبيعتنا نفسها المتصفة بالتناهي والنقص والخطأ، كما تلزمنا بها الحقيقة التي لا مفر منها والتي تقول ببساطة: إننا نحن أيضا لا نستطيع أن ندرك العالم إلا من خلال منظورنا الخاص. ويستحيل علينا أن ندخل في منظور كلي شامل تتوحد فيه كل المنظورات في رؤية واحدة.

فهي مهمة مرتبطة بذات فردية أو وجود فردي مقيد بأفق محدود للفهم، لأن الذات الفردية لا تستطيع أن تقفز فوق ظلها، صحيح أن كل أفق فردي يمكن أن يتسع من خلال الاتصال بآفاق الآخرين، ولكن هذا لا يتم أبدا بتجاوز الأفق الفردي أو الذاتي.

وهذه الفكرة الثاقبة هي التي ألهمته بلا نهائية المجالات المتداخلة، بحيث يمكن تدريجيا لجميع الظواهر البشرية أن تصبح مألوفة لديه، بل أغرب وجهات النظر وأشد الأحوال والمواقف اختلافا يمكن أن تصبح لديه بمثابة أصدقائه وجيرانه [١١].

وهكذا فعمليات الفهم ليس لها حدود، كما أن النسق النهائي لمعرفة كل شيء لا يمكن حدوثه ولا يجب السعي وراءه. فلن نكون قادرين على تحاشي عنصر التفسير الفردي المتميز في أي موقف محدد. ولعلنا نلاحظ هنا أنه يقف على العكس تماما مع الفلاسفة المثاليين المعاصرين له، وفي مقدمتهم بالطبع، هيجل، لأن الجنس البشري واقع حتما تحت تأثير عمليات التواصل البين ذاتية.

فالحقيقة بالضرورة هي بين ذاتية، وإلا فالتواصلية تصبح غير قابلة للتوضيح، فما نطلق عليه جميعا التفكير هو نشاط كل فرد واعيا به ليس بداخله فقط ولكن في الناس جميعا، وبذلك فليس هناك فرق في حالة أن نفس التفكير قام به فرد أو آخر، لأن كل تفكير نحدده بواسطة محتواه هو نفسه داخل وعي كل فرد [١٢].

ومن حيث المبدأ يكون شلاير ماخر في حالة اتفاق مع التقاليد اللفظية، لدرجة أن الفهم لا يمكن أن يكون قائما على أساس الخلافات السيكولوجية بين المتكلمين. وفي ضوء هذه الخلافات. فلكي يكون الفكر ممكنا فلابد من افتراض تناغم لفظي بين ما يقصده المتكلم وبين ما أقصده أنا. وبدون هذا الافتراض فلن يكون لدينا مبرر أن ندعي بأن كلام الآخرين لغويا على الإطلاق. فالوجود البشري يكمن في السعي من أجل الهوية الموجودة في الفهم والتي تعد من متطلبات التفكير نفسه، ولا توجد حدود للمدى الذي يصل إليه فكرهم المتبادل، ولا توجد نظرية قبلية يمكن أن تضع هذه الحدود.

فالفهم إذن حتمي ودائم، ولكن كما أن اللغة نفسها لا تتكلم وأن النص بنفسه لا يتواصل مع القارئ، فإن الفهم أيضا لا يقع تلقائيا في أذهاننا لكي نفهم الكلام بأي صورة، ولتجنب سوء الفهم قدر المستطاع، فالمهارة الأساسية والقدرة على التقدير المطلوبين للفهم يجب تطويرهما وشحذهما وفق مجموعة من القواعد والإجراءات المنهجية [١٤].

هذا الجانب المستحدث من الفهم يعتمد على رؤية أن كل حالة من الكلام البشري تتمتع بعلاقة مزدوجة، فمن جانب علاقة مع شمولية اللغة، ومن جانب آخر علاقة مع فكر الكاتب. لذلك فإن كل عملية يجب أن تميز بين نقطتين: فهم الكلام المكون من عناصر مستمدة من اللغة، ثم فهمه كحقيقة موجودة في ذهن المتكلم.

وكما يري شلايرماخر فإن الفهم وسوء الفهم يتطلبان التدرب على ممارستهما، حيث يعد التفسير منهجا خاويا من الصعاب عن كونه مجرد ملاحظات، فهو يمثل إطارا من التوجهات الإرشادية المتواصلة لبناء المنهج (١٥).

ولكن الممارسة غير المتقنة للتفسير دائما ما تؤدي إلى سوء الفهم الكيفي والكمي، والفعال، فسوء الفهم الكيفي qualitative مثل الالتباس الذي يحدث بين معني إحدى الكلمات وبين معني كلمة أخري، حيث يقوم الشخص بإعطاء ذات الشيء معاني مختلفة مما يعطيها المتحدث لها في هذا المضمار.

وسوء الفهم الكمي quantitative مثل الاستجابة الفردية لقيم الاسترسال التي يعطيها المرء لجزء من أجزاء النص. وكلاهما ـ الكمي والكيفي ـ يؤدي إلى الآخر (١٦).

أما سوء الفهم الفعال فهو يتمتع بالهشاشة لأنه يكون نتاجا لتعامل أو تميز لا يمكن التيقن منه إلا في حال ظهوره بجلاء، وبذلك يظل يخدم فرضيات زائفة. وهذا ما يؤدي إلى غياب نوايا الكاتب.

في ضوء هذه الرؤية، يتبلور لنا كيفية ممارسة فن التفسير حيث يجب على القارئ أن يضع نفسه موضوعيا وذاتيا في موقف الكاتب، فالجانب الموضوعي يتطلب معرفة اللغة كما يعرفها الكاتب، ولكن هذه مهمة متخصصة أكثر من وضع الشخص نفسه في موقف القارئ الأصلي، لأنه عليه أيضا أن يتطابق مع الكاتب والجانب الذاتي يتطلب معرفة الجوانب الداخلية والخارجية لحياته.

فمن خلال كتابات الشخص يعرف المفسر مفرداته وشخصيته وظروفه، لأن العصر الذي يعيش الكاتب فيه، تطوره، اهتماماته، طريقة كلامه، مهما كان الاختلاف الذي تحدثه هذه العناصر في النص النهائي، فهي تشكل محيطا يعطي للمفسر صورة ورؤية دقيقة على اعتبار أن النص يتبلور من خلاله (١٧).

ومن هنا لابد للقارئ الجيد أن يكون قادرا على إدراك الطريقة التي جمع بها النص وخلق صدي إيقاعي، وهذا يعتمد على الفهم المسبق عن فائدة أن يكون النص ذا معني من الأساس.

ج- التفسير كنقطة التقاء بين مرحلتين

يكمن الادعاء الثالث في أن الفعل اللغوي يظهر كلا من اللغة والشخص معا، لأن التفسير يحدث فقط عند الالتقاء بين هاتين المرحلتين.

فالصورة هنا أن اللغة ومعانيها تشكل جزءا لا يتجزأ من المجتمع وتتطور مثل

الكائن الحي عبر التحدث، حيث يشكل الأشخاص اللغة، ومن جهة أخرى تتشكل نحن أيضا من خلالها، وكما يقول شلاير ماخر: إن الميراث اللغوي يعمل على تطوير أو تعديل الروح. فاللغة مثل الكائن الحي، حيث يتحدد كل عنصر بشكل معين بالعناصر الأخرى، لأن الأجزاء مرتبطة ببعضها البعض كمكائن حي وهي تتطور وتتغير باستمرار مثله (١٨).

وحيث إن اللغة يتم تصويرها متماثلة مع الكائن الحي، فإن الشخص أحد الكائنات الحية المتسمة بالتطور، فلا يمكن فهم فعل الحديث كمرحلة في تطور الشخص إلا إذا فهمنا علاقته باللغة، وذلك كون الميراث اللغوي يغير الروح، ولا يمكن لفعل الحديث أن يتم فهمه كتحول للغة إلا إذا تم فهمه كمرحلة في تطوير الإنسان نظرا لأن الشخص لديه القدرة على التأثير على اللغة بالحديث وهو سبيل تطور اللغة (١٩).

ونجد وجهة نظر شلاير ماخر لها قيمتها الجوهرية هنا، حيث تتوافق اختلافاته مع نمطين من المعاني: المعنى اللغوي الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من اللغة، والمعنى المراد من المتحدث والذي يرتبط بنواياه. فاللغة هي ظاهرة جماعية يتمثل الاستخدام الأمثل لها كجزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع (الوحدة) وتطبيقاته. وهي النقطة التي ركز عليها * فيتجنشتين، فالكلمات لها معانيها المستقلة لنوايا متحدث ما، وهكذا فإننا أحيانا ما نتساءل: ماذا تعني؟ مشيرين إلى كلمة أو جملة أو عبارة في سياق حديث معين – وفي نفس الوقت فالحديث هو الذي يظهر نوايا المتحدث، نوايا الشخص الذي افترضنا أنه يعرف اللغة، وعادة ما يعني التعبير في سياق حديث معين ما ينوي المتحدث نقله باستخدام هذا التعبير لأنه من أجل التحدث يجب على الشخص أولا أن يعرف اللغة، وما يعنيه سوف يكون ما ينوي نقله باستخدام هذا التعبير (٢٠).

بالنظر إلى التشابه الجزئي مع ممارسة لعبة ما، فإن الأفعال تظهر في قواعد اللعبة وفي ذات الوقت في ظهور اللاعبين وشخصياتهم، وبنفس الطريقة فإن الأفعال اللغوية هي تجلي للغة وللأشخاص الذين يستخدمونها.

لكن كيف نحدد ما يعنيه المؤلف؟ وللإجابة على هذا التساؤل قام شلاير ماخر بتقسيم التفسيرات إلى قسمين: دراسة أفعال الحديث كتجلي للغة (التفسير النحوي)

---

* هذا هو ما يعرف في حقل دراسة المعنى بنظرية الاستخدام، ومفادها أن معنى الكلمة يتحدد بكيفية استخدامها، وهو ما عبر عنه فيتجنشتين بشعاره المشهور لا تسأل عن المعنى وإنما أسأل عن الاستخدام

وكتجلي للشخص (التفسير الفني أو النفسي)، فكلاهما يقف على قدم المساواة تماما، ومن الإجحاف الزعم بأن أحدهما يشكل تفوقا ومكانة على الآخر.

ولكن أحيانا يصبح التفسير في المرتبة العليا فقط في حال قيام المرء بتصوير اللغة كونها وسيلة يستطيع من خلالها إيصال أفكاره ومعتقداته، ومن ثم يتحول التفسير النحوي إلى مجرد مزيل أو ماحي للعقبات المؤقتة.

ويصبح التفسير النحوي في المرتبة العليا فقط في حال قيام المرء بتصوير اللغة كنمط للتفكير، حيث تعبر اللغة عن ذاتها. وعبر تلك الوسيلة من العلاقات التبادلية وحدها يستطيع المرء أن يجد كليهما متماثلين تماما.[٢١]، وكما يقول شلاير ماخر: فشيشرون كاتب كلاسيكي وليس مبدعا، بينما الكاتب الألماني هامان مبدع وليس كلاسيكيا، فهل يتم استخدام كلا الجانبين للتفسير بصورة متساوية في كل الأحوال، فعندما يكون لدينا كاتب كلاسيكي لا يتمتع بالموهبة الإبداعية، فإن المنهج النفسي له يفتقر لأي إعجاب، بينما الكاتب الذي يمتلك الموهبة الإبداعية، فهو يستخدم المزيد من التراكيب اللغوية، وهنا يتحتم أن يتم فهم تلك التعبيرات من الجانب النفسي وليس من الجانب النحوي[٢٢]. وهذا يعني أن الشيء الذي ليس له دلالة نحوية ليس بالضرورة ألا يكون له دلالة نفسية أيضا، والعكس صحيح، فإن الدلالة في أحدهما لا تستوجب الدلالة في الآخر.

٣. الدائرة التفسيرية

يعد الفهم في جوهره عملية إشارية أو مرجعية، فنحن نفهم شيئا ما عندما نقوم بمقارنته مع شيء آخر نعرفه مسبقا، وما نفهمه يشكل ذاته عبر وحدات معنوية أو حلقات تتشكل من أجزاء. والحلقة بالكامل تعمل على تعريف الجزء الفردي والأجزاء معا من الحلقة ذاتها. فالجملة الكاملة على سبيل المثال تعد وحدة قائمة بذاتها، و نحن نفهم معنى الكلمة من الفرد عبر رؤيتها في إشارة إلى الجملة كاملة. وبالمثل فإن معنى الجملة كاملة يعتمد على معنى الكلمات الفردية. مع امتداد أن المفهوم الفردي يشتق معناه من سياق أو أفق الفكر الذي يعمله، وهو الأفق الذي يتكون من عدة عوامل تسمح بإعطاء المعنى، وعبر التداخل الجدلي بين الكل والجزء، فإن كليهما يعطي المعنى للآخر، ومن ثم فإن عملية الفهم هي عملية تدور في حلقة أو دائرة، حيث أنه ومن خلالها يتبع المعنى القائم وهو ما نطلق عليه الدائرة التفسيرية[٢٣].

يعبر عن ذلك شلاير ماخر بقوله: تعمل تلك الحلقة على سهولة التعرف على الهوية الذاتية للمؤلف، فكلما تمكنا من الحصول على معلومات مكتملة توفر لدينا

الدعم المناسب، وكلما تعمقنا في القراءة أكثر سنحت لنا الفرصة الأنسب للتفسير عبر تنمية وإثراء معرفتنا المسبقة. فنحن لا نشعر بالرضا والقناعة بالفهم الفوري عند التعامل مع الأمور التي لا معنى لها (٢٤).

هذا التعمق لا يتشكل إلا من خلال المعرفة المستقلة للحياة الواقعية للغة، ولهذا السبب فنحن نتمتع بفهم منقوص وغير كامل لمعاني الكلمات اليونانية واللاتينية، وبالتالي فإن المهمة الرئيسية للمعاجم في مثل تلك الحالات هي الأخذ في الاعتبار كافة الصور الأدبية كسياق نصي متنوع عبر وسائل المقارنة وإبراز الاختلافات. هذه المهام تعمل على إحداث التوازن مع بعضها البعض عبر عملية التفسير ذاتها (٢٥).

ومن ثم، دائما ما يحيلنا الفهم كلما تفكر بعدد من الأشياء: معرفتنا بالمؤلف مثله مثل مسألة الموضوع، بالعنوان، بقراءة المقدمة وأيضا مثل التنقل بين الصفحات في النص، وأن هذه الرؤية المؤقتة للكل سوف تراجع عادة بعد ذلك عدة مرات كلما قرأ النص.

يبدو إذن أن مسألة الفهم تأخذ مسارات من العلاقات المفرغة التي لا نهاية لها، وهذا لا يؤدي بطبيعة الحال إلى فهم العمل بصورة كاملة. فالعمل يتطلب إعادة القراءة أكثر من مرة. وهذا سوف يقودنا تلقائيا إلى فهم أفضل لكل الأجزاء وبشكل كلي. الفهم يظهر في السياق على أنه مسألة مستوى.

وقد ادعى ريشارد بالمر Richard, E.Palmer أن مفهوم الدائرة التفسيرية يحتوي على تناقض منطقي، وأنها قد أحدثت ارتباكا مميزا، لأننا في حال حتمية التمسك بالكل قبل فهم الأجزاء، فلن نتمكن من فهم أي شئ، فإذا كان الجزء يشتق معناه بشكل تأكيد من الكل، وعلى الجانب الآخر، لا يمكننا أن نبدأ بالكل الذي لا يتمايز إلى أجزاء، هل نعتبر هنا أن مفهوم الدائرة التفسيرية غير صالح للاستخدام؟ لا ولكن يجب علينا قول أن المنطق لا يستطيع أن يبرر بشكل كامل أعمال الفهم، وبطريقة ما، فإن نوعا من القفزة إلى الدائرة التفسيرية تحدث ونفهم الكل والأجزاء معا، فشلاير ماخر ترك مساحة من الحرية لمثل هذا العامل عندما رأى الفهم أمرا مقارنا أو حدسيا، ولكي تقوم الدائرة بعملها على أكمل وجه، فهي تفترض عامل الحدس (٢٦).

وبرؤيتها من الحيز المكاني، فإن الدائرة التفسيرية تقترح منطقة من الفهم المشترك، وحيث أن التواصل يمثل نوعا من العلاقات الحوارية، فإن مجموعة من المعاني المشتركة سوف تتواجد بين المتحدث والمتلقي، وهذا يبدو أنه يحمل تناقضا ثانيا، فالشيء الذي يتم فهمه يجب أن تكون لدينا معرفة مسبقة به ولكن ليست هذه هي لب القضية. أليس هباء أن نتحدث عن الحب مع شخص لا يفهم معنى الكلمة أو عن مزايا

ومتع التعليم مع من يرفضونه وينبذونه؟ فالمرء يجب عليه أن يتمتع بقدر ما من معرفته بالأمر الذي يتم مناقشته، وهو ما يعد الحد الأدنى من المعرفة المسبقة اللازمة للفهم والذي من دونها لا يستطيع المرء القفز إلى الدائرة التفسيرية[٢٧].

ومن ثم، فإنها لا تعمل على المستوى اللغوي فقط ولكن أيضا على مستوى الشيء كونه موضوعا للمناقشة. فيجب على كل من المتحدث والمتلقي الاشتراك في اللغة وموضوع الحديث. وكذلك كلاهما في وسطية الحديث (اللغة) ومادة الحديث (الموضوع) كونهما مبدأ المعرفة المسبقة أو الدائرة التفسيرية التي تعمل في كل بعد من أبعاد الفهم.

٤. التفسير النحوي والتفسير النفسي

في الفكر المتأخر لشلاير ماخر هناك توجه متزايد لفصل مجال اللغة عن مجال الفكر، فالأول هو مجال التفسير النحوي، بينما الثاني أطلق عليه في البداية فني، ثم بعد ذلك نفسي، ووفقا له فإن الفهم الكامل له لحظتان:

الفهم كونه شيئا خارجا من عباءة اللغة، وكونه حقيقة في فكر المتحدث.

وهكذا يتضح لنا أن كل تعبير لغوي Rede يلاحظ على نحو مضاعف، فمن الناحية الأولي يظهر النسق المتعلق بعمومية اللغة، ومن الناحية الأخرى فإن اللغة تدخل إلى حيز الوجود عبر التحدث فقط[٢٨].

وبالطبع فإن كلا الجانبين على القدر ذاته من الأهمية، ويتفاعلان بصورة مستمرة. التفسير النحوي يعد قاصرا على اللغة والنص، فهو يسعي إلى فهم النص ببساطة كنص، كبناء، كمجموعة معينة من الكلمات، فهو مهتم بالتأكيد بتوضيح المعاني والفروق بينها، مع تحليل ووصف التراكيب اللغوية. وبهذه الطريقة فلكي نفهم نصا معينا من خلال اللغة، فهذا يأخذنا إلى الجذور التاريخية والاجتماعية التي نشأت فيها هذه اللغة، ولكن كل ذلك يعطينا نصف القصة.

فعندما نتحول إلى النوع الثاني المسمى بالنفسي، فسوف نري ما هو الأصلي في مساهمات شلاير ماخر، لأن التفسير النحوي بالكامل يبقي من ناحية ما خارجيا موضوعيا ينظر إلى القصيدة أو المسرحية أو المقالة الفلسفية، أيا كان السلوك الأدبي، من الخارج دون الاختراق للوصول إلى عملية الإنتاج أو الإبداع ذاتها التي تشكل الكتابة أو الكلام الذي يعرض علينا. فربما نفهم محتوي النص حرفيا أو الشيء الذي يقوله ولكنه يبقي صامتا عن كيف تم هذا العمل، يعني أننا لم نحاول الاختراق للوصول إلى العمل الإبداعي للمؤلف، فالنص لا يظهر للوجود من تلقاء نفسه، ولكنه يفترض وجود

شخص متميز ومهارة إنتاجية وإبداعية فعلية، فيجب أن نكون قادرين على اكتشاف مؤلف حي يتنفسه شخص تاريخي[٣٩].

وهكذا، فالمهمة في النهاية تبطل عندما لا يمكن لأي جانب أن يأخذ مكان الآخر، على الرغم من وجوب التعامل معهما. يعني عندما يعامل كل جانب على حدة بالطريقة التي تجعل معالجة الجانب الآخر لم ينشأ عنها أي تغيير.

على سبيل المثال: فإن الجدل الذي ثار حول التفسير التاريخي لمكتب العهد الجديد أبرز وجهة نظر تكشف أن هناك عدة أنواع مختلفة من التفسيرات، غير أن التفسير التاريخي وحده يمكنه أن ينصف ويثبت انتماء مؤلفي كتب العهد الجديد لزمنهم ولأماكنهم، لكن التفسير التاريخي الذي ينكر قدرة المسيحية على خلق مفاهيم جديدة ومحاولة تفسيرها حسب الظروف التي كانت سائدة في هذا الزمن يجب رفضه لأنه يعد تفسيرا أحادي الجانب، ولكن من غير الملائم رفض التفسير التاريخي كلية، لأن أصل الموضوع يكمن في العلاقة بين التفسيرات النفسية والنحوية. فالمفاهيم تتطور بناء على الأسلوب المميز الذي يتأثر به الكاتب[٤٠]. وهذا يعني أن التفسير التاريخي ليس قاصرا على جمع البيانات التاريخية، لأن المهمة يجب أن تتم قبل بدء عملية التفسير، فهي وسائل إعادة خلق العلاقة بين المتكلم والمستمع الأصلي، والتفسير لا يمكن أن يبدأ إلا بعد إقامة هذه العلاقة.

وهذا ما يتضح لنا في التفسير المجازي الذي لا يتعامل فقط مع القصص المجازية، حيث المعاني المجازية تكون هي المقصودة فقط سواء أكانت القصة مبنية على الحقائق كما في القصة المجازية عن الفلاح، أو على الخرافة مثل القصة المجازية عن الرجل الثري، ولكنه يتعامل مع الحالات التي يكون المعنى الأدبي في سياقها المباشر يبرز المعنى المجازي الآخر. مثل هذه الحالات لا يمكن رفضها فقط بذكر المبدأ العام وهو أن النص المعقد ربما يكون لديه معنى واحد فقط. يعني معناه اللغوي العادي والتلميح دائما يتضمن معنى ثانيا، فإذا لم يستطع أن يدرك القارئ هذا المعنى الثاني مع الأول، فإنه سوف يفقد أحد المعاني المقصودة حتى ولو كان قادرا على أن يتبع المعنى الأدبي[٤١].

خلاصة الأمر، يستخدم التفسير النحوي المنهج التاريخي المقارن وينطلق من العام إلى الخصوصيات في النص، بينما يستخدم التفسير النفسي كلا من المنهج التأريخي المقارن والمنهج التكهني، بحيث يخرج المفسر من ذاته الخاصة ويتقمص ذات المؤلف بغرض التمكن من الإمساك بالعملية العقلية له، ومن ثم فإن الغرض النهائي ليس في مجرد فهم المؤلف من الوجهة النفسية، ولكن الوصول إلى الفهم التام لما يحتويه النص.

٥ـ التفسير كوسيلة لفهم الأسلوب

إذا كانت المفردات والسيرة الذاتية لتاريخ المؤلف تشكلان أو تبلوران معا الشكل الكامل، حيث يتم فهم كتاباته كجزء لا يتجزأ منها، فإن دراسة التاريخ تتطلب دراسة الثقافة وحياة الناس المشتركة التي تتطور وترتبط برباط وثيق باللغة، بمعنى آخر تساعد اللغة على ربط حياة الناس معا وهي جزء من حياتهم المشتركة، وبعيدا عن اهتماماتهم. فمن خلال المشاركة في الحياة تبرز أنماط من الأنشطة مثل تحية بعضنا البعض أو تقديم أحد الأشخاص إلى الآخر والحديث عن الطقس وإلقاء النكات والأغاني الشهيرة وقرض الشعر وخطابات للمحررين وكلها تندرج تحت بند الأسلوب، فالأنماط الجديدة تتطور من عباءة الدوائر أو المجالات الأكبر، وفي تحليلها النهائي تخرج ذاتها من الحياة [٢٢] فوجهة نظر شلاير ماخر هنا تتشابه مع وجهة نظر فيتجنشتين للاستخدامات المتعددة للغة، وتأكيده على الرابطة الوثيقة بين لغة الناس وحياتهم.

وهكذا تتشكل منطقة اهتمامات الإنسان التي يتشارك فيها مع بني البشر خلفية للتفاهم بينهم، بحيث يجب على الشخص أن يفسر المعني من القيمة المعطاة من قبل كلية اللغة والإرث المعروف للمؤلف وقارئه، وبهذا الدليل فإن التفسير ممكن حدوثه.

ومن ثم، يتضح أن الهدف الرئيسي من التفسير الجيد هو فهم الأسلوب بصورة كاملة تامة مع أن التفسير مسألة تقريبية، بمعنى أنه يخضع لعملية مستمرة من التقويم والتصحيح، حتى أفضل التفسيرات فما هي إلا مقاربة من المعني الأصلي، فالمعرفة الكاملة تكون دربا من دروب المستحيل.

لكن ليس معني ذلك، أن المفسر لا يتجاوز الممارسة الرخوة أو المهلهلة التي ينتج فيها الفهم آليا، بل يجب عليه أن يسعي نحو معالجة الغموض وسوء الفهم الذي يكتنف النص، فعمليات الفهم ليست مجرد أفكار بقدر ما هي شرط يرتبط بالوجود الإنسان والذي يستلزم أكثر [٢٣].

بناء على ذلك، فقد طور شلاير ماخر مجموعة من الإجراءات لتناسب رسالته التي أسماها كما أشرت إليه سابقا المنهج التأريخي المقارن، والمقصود به مساعدة المفسر لفهم النص. نص معين في إطار الظروف العامة، التقاليد اللغوية، الظروف التاريخية للزمن، فهذا الأسلوب يوضح ما هو خاص بالنص عن طريق دراسة محتوياته، ودراسة مؤلفه مقارنة مع مؤلفين آخرين مماثلين أو مع نصوص أخري. فكل المصادر الفكرية مطلوبة وضرورية لإثبات الحقائق، ولكن ليس هذا كافيا، ومن هنا تأتي قيمة العملية التكهنية التي لم ينجو تاريخه الفعلي من الاعتراض عليها بسبب سوء الفهم. فمن خلالها يعكس المفسر الفجوة بينه وبين المادة المفسرة، ولا يمكن مساواتها بالتقمص العاطفي، المصطلح الذي

ليس له وجود أصلا في أعمال شلاير ماخر.

هذه العملية ليست هبة أو منحة بقدر ما هي ملكة نحن نمتلكها إلى حد ما بوصفنا بشراً رغم أن البعض يمتلكها بدرجة أكبر وآخرين بدرجة أقل مع إمكانية تطويرها والتدرب عليها، حيث لا يمكن استبعادها من عملية الفهم خاصة في الحالات التي تكون قضية الفهم لما هو جديد تماما وغير قابل للمقارنة. بالإضافة إلى ذلك لا يمكن اختصارها إلى مجرد قواعد. فلا أكثر المعارف توسعا أو اكتمالا عن المؤلف وحياته يمكن أن تحتل مكانة هذه العملية التكهنية التي يطلق عليها أحيانا – عملية التخمين الملهمة [٢٤].

فلم تعد المسألة مجرد قصة خيال أو تعاطف بقدر ما هي عملية يمكن أن أتأمل من خلالها رسالة المؤلف، وهي عملية يمكن أن يرسم بها القارئ معنى جديد وحقيقي للنص، وفي نفس الوقت إثراء معانيه. وبواسطة هذه الإضافة يميل إحساسنا بأن ما قد قصده المؤلف قد توسع أو تطور، وهذا جزء أساسي من المهمة التي قصدها شلاير ماخر فهي تكمن في فهم النص مثل أو أفضل من فهم كاتبه [٢٥] ولأنه ليست لدينا معلومات مباشرة عما بداخله، فيجب أن نسعى إلى توجيه وعيه لأشياء يمكن أن يظل غير واع بها بالقدر الذي يصبح فيه قارئا لنفسه. وفي الجانب الموضوعي فلن يكون لديه معلومات أكثر مما لدينا.

وخير دليل للإيمان بهذه العملية التكهنية، هو الأسلوب الذي يتعلم به الأطفال اللغة، فليست لديهم بعد نقاط للمقارنة ولكن يجب أن يكتسبوها تدريجيا كأساس لمهارات المقارنة التي باعتراف الجميع تتطور بصورة منهلة، ومع ذلك فإن السؤال المهم هو: كيف لهم أن يتعرفوا على الشيء الأول أو البدائي، يعني كيف يقفزون من مجرد الإمكانية الكامنة للغة إلى إدراك المعنى الذي أصبح معروفا لهم في عملية التخمين ذاتها لأن ذلك هو المقصود بالتكهن؟ فيمكن فقط الإجابة على السؤال بالاعتراف بنفس الجرأة التخمينية التي حتى عندما نترك مرحلة الطفولة خلفنا تمكننا ولو بدرجة أقل من فهم المعنى [٢٦].

وكنتيجة لهذا، يؤكد شلاير ماخر أن الأمرين لا يجب الفصل بينهما، فالتكهن يصبح مؤكداً عندما يتعزز بالمقارنة، وبدون هذا التأكيد، فإن التكهن يميل دائما إلى أن يكون تعصبا عند قراءتنا لأي نص [٢٧].

الخاتمة

يتضح من كل ما سبق أن التفسير عند شلايرماخر قد اكتنفه تحولات على نحو من الأهمية بمكان، لكنها تحولات داخل فكر منهجي منظم، بمعنى أن نقطة الانطلاق المثمرة في مراحل تفكيره الأولى تكمن في التفسير ذي الطبيعة اللغوية والقائمة على الظروف الفعلية لعملية الفهم كونها شريكا في الحوار، وتحول ليصبح سيكولوجيا بناء على إعادة العملية الفكرية وهي العملية التي لم تعد ترى كونها لغوية على الإطلاق. ولكن لا يزال الأسلوب هو المفتاح السحري والجوهري لفهم فردية المؤلف والذي يشكل تجليا تجريبيا أيضا.

ولكن بغض النظر عن العامل السيكولوجي له، فإن مساهماته في هذا المجال تمثل علامة فارقة، حيث لم يعد ينظر إلى التفسير كونه أمرا محددا ينتمي إلى اللاهوت أو الأدب أو القانون، فهو فن فهم أي نوع من التفوه داخل نطاق اللغة، بالرغم من تعرض فكره للكسوف عبر حرصه الدائم على التوافق المنهجي، ومن ثم فإن هذا الخلل أو النقيصة قد وجه التفسير نحو اتجاه جديد، ألا وهو كونه علما.

وهكذا يهدف التفسير عنده إلى نوع من الخلق الجديد أو إعادة الإبداع، إذ يبعث المفسر الإحساس في النص باستخدام أدواته الإبداعية بإحساسه بالرؤى مما يعطي العمل صداه وصوتا جديدا للتعبير مرة أخرى عن أصالته وتفرده غير القابل للاختصار.

- ومن ثم فإن المشكلة بالنسبة لشلايرماخر لم تكن في غموض التاريخ ولكن في غموض الأنت، ومثل هذا التركيز على الظروف السيكولوجية للحوار التي يمكن أن تقودنا للتقاضي عن العامل التاريخي للتفسير، أدت به إلى كون عملية الفهم هي نوع من المحاكاة، حيث لم يعد ينظر إلى صعوبات الفهم وإخفاقاته على أنها عرضية، إنما هي عناصر أساسية يجب تجنبها مقدما. لذلك عرف التفسير بأنه فن تجنب سوء الفهم. ويكمن الحل في القواعد التفسيرية المختلفة.

والنتيجة المترتبة على هذا الأمر أنه لا يمكن فصل العمل عن مؤلفه الذي يمثل إنكاره إنكارا لوجود العمل، نعم هي رؤية محدودة بالثقافة والزمن، لكن زوالها يساوي التغير الأحيائي في الصفات الوراثية عند الأجناس.

ومن هنا، لا يمكن التجاوز عن إسهاماته أو اعتبارها منتهية الصلاحية، فواضعو النظريات التفسيرية ذوو الاتجاهات والمبادئ المختلفة يدينون بالفضل والاعتراف بالجميل للمبادئ التفسيرية التي قدمها شلايرماخر خاصة مفهوم الفهم الناتج عن العلاقة مع الحياة، ومن بين هؤلاء دلتاي، هيرش، بيتي، وآخرون.

الهوامش

1- Hausheer , Roger, "Three Major orginators of the concept of verstehen: Vico, Herder, and schleiermacher" in verstehen and Humane understanding, edited by Anthony O Heor, cambridge university press, 1996, P56.

2- Ibid , PP57, 58 .

3- Ibid , P, 58 .

4- Ibid , P, 59.

٥- محمد شوقي زين: عالمية هرمنيوطيقا جادامر، ترجمة هكاميليا صبحي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد ٥٩، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٥٥.

6- Schleiermarcher, F· The Hermeneutics: outline of the 1819 lectures" in new literary History Vol 10 , No, 1 (Aulumn 1978) P,8 .

7- Margolis, Joseph " Schleiermacher among the theorists of language and interpretation" in journal of Aesthetics and art criticism, Vol 45, No 4 (Summer 1987) P, 364 .

8- Corliss. L. Richard " Schleiermacher's Hermeneutics and its critics" in Religious studies , Vol, 29 No, 3 (Sep. 1993) PP363, 364 .

9- Bowie Andrew: From Romanticism to Critical Theory, The philosophy of German literary Theory, New York, 1997, P 134 .

10- Schleiermacher, F " The Hermeneutics: outline of the 1819 Lectures" PP 5, 6.

١١- عطيات أبو السعود : فن الفهم : بحث في تأصيل للفهوم عند فيكو وهردر وشلاير ماخر ودلتاي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد ٣٦، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٤٢ .

١٢- المرجع السابق ص٤٢.

13- Bowie , Andrew: From Romanticism to critical Theory P,117 .

14- Hausheer , Roger " Three Major originators of the concept of Verstehen: Vico, Herder , and schleiermacher" P, 64.

15- Schleiermacher, F: Hermeneutics and criticism and other writings , trans and edited by Andrew Bowie, Cambridge university Press, 1998, P, 12.

16- schleiermacher F " The Hermeneutics: outline of the 1819 lectures" P,9.

17- Schleiermacher F" Foundations: General theory and art of interpretation" in the Hermeneuties reader , texts of the German tradation from the Enlightenment to the present, edited with on introduction and notes by Kurt Mueller-vollmer , 1985, PP, 83-87.

18- Corliss, L. Richard" Schleiermacher's Hermeneuties and its critics" P, 371.

19- Schleiermacher F " Foundations: General Theory of art of interpretation " P, 76.

20- Corliss, L. Richard" Schleiermacher's Hermenutics and its critics " P, 372.

21- Schleiermacher F " The Hermeneutics: outline of the 1819 lectures " P, 3.

22- Schleiermacher F : Hermeneutics and ciriticism and other writings, P, 14.

23- Palmer, E. Richard: Hermeneutics, interpretation theory in schleiermacher , Dilthey, Heidegger and Gadamer., Northwestern university , Press , 1969, P, 87.

24- Schleiermacher F" The Hermeneutics: outline of the 1819 lectures" P,10.

25- Ibid, P,11.

26- Palmer, E. Richard : Hermeneutics, interpretation theory in schleiermacher, Ditthey , Heidegger and Gadamer , P,87.

27- Ibid , P,88.

28- Frank, Manfred " The text and its style. Schleiermachers Hermenutics theory of language" trans by Richard Hannah and Micheal Hays, in bounday 2, Vol 11, No3 (Spring 1983) P,19.

29- Hausheer , Roger " Three Major originators of the concept of verstehen: vico , Herder and Schleiermacher" P, 65.

30- Schleiermacher F" Foundations: General Theory and art of interpretation" P,78.

31- Ibid , P, 78.

32- Corliss, L. Richard " Schleiermarcher's Hermeneutics and its critics" P, 373.

33- Pfau, Thomas" immediacy and the text : friedrich Schleiermacher's Theory of style and interpretation" in journal of the History of ideas , Vol. 51, No.1 (Jan- Mar, 1990) P, 66.

34- Hausheer, Roger " Three Major orignators of the concept of verstehen: Vico, Herder and Schleiemacher" P, 69.

35- Bowie, Andrew: From Romanticism to critical theory , P, 124 .

36- Frank, Manfred : The subject and the text: essays on literary Theory and philosophy, edited with on introduction by Andrew Bowie, Cambridge university Press, 1997, PP, 21, 22.

37- Schleiermacher F" The Hermenevtics: outline of the 1819 lectures" PP, 14,15 .